الفصل العاشر

استخدم كل حواسك

ستعرف في هذه الفصل:

- كيف تحصل على الفائدة القصوى عندما تكون في بلد اللغة التي تتعلمها.
- كيف تتعلم بعينيك.
- كيف تتعلم بأذنيك.
- كيف تتعلم بحواسك الأخرى.

العيون أو الآذان المغلقة

في كل مرة أعود فيها إلى إنجلترا من القارة الأوروبية من خلال النفق الأوروبي، أصبح حزينة جداً، فمؤخراً عدت من ألمانيا وقررت أن أقوم بالقليل من التسوق في " سيتي يوروب" وهو مركز التسوق الكبير قرب محطة القطار. وكنت أقف في الصف وأنتظر الدفع عند المحاسبة. وكانت هناك شابة أمامي قامت صديقتها بالانضمام إلى الصف متخطية دورها أمامي وقالت بالإنجليزية: " رجاءً اسمحوا لي" . فاعتقدت أنه قد حان وقت المتعة، فسألتها: " كيف عرفت أنني إنجليزية؟"

فشعرت الفتاة بالخجل وقالت متمتمة: " حسناً، كل الناس يتحدثون الإنجليزية".

كنت مبتهجة جداً عندما أشرت إلى أنه في الغالب ما يكون الناس في مركز التسوق (رغم العدد الكبير من السياح الإنجليز هناك) لا يريدون التحدث بالإنجليزية، حتى وإن استطاعوا. فهم فرنسيون، ولديهم كل الحق في التوقُّع منا على الأقل محاولة التحدث بلغتهم؟ فنحن كنا ضيوفاً في بلدهم.

شعرت كلتا الفتاتين بالخجل قليلاً، وتحدثنا قليلاً عند انتظارنا الخدمة. نعم كانتا في رحلة مدرسية وقد درستا القليل من الفرنسية في المدرسة. وقد عرفنا الفرنسيين بـ " اسمح لي رجاءً"، وكان ذلك كافياً رغم أنهما تحدثنا بما يظهر عادة في الكتب المقررة بدلاً مما يستعمله الفرنسيون عادة.

طلبت منهما الاستماع إلى بعض الفرنسيين الواقفين في الصفوف الأخرى، ولم تمض سوى ما يقارب الثلاثين ثانية حتى عرفتا أن أغلب الفرنسيين كانوا يقولون Pardon "باردون" إذا وطأوا على قدمك أو احتاجوا إلى المرور من أمامك. ثم نظرنا إلى اللوحات من حولنا وحاولنا استكشاف ما تعنيه. وعند اقترابنا من صندوق المحاسبة، استمعنا إلى ما كان المحاسب يقوله، وكيف كان الزبائن الفرنسيون يردُّون. يسعدني أن أذكر أن صديقتيَّ الفرنسيتين استطاعتا التحدث بالفرنسية بأدب عندما دفعتا ثمن المشتريات وكانتا في الحقيقة تستخدمان الأشياء الأساسية التي مرتا بها والتي لم تجربانها في الظروف الحقيقية. وكانتا تضيفان أشياء قليلة تعلمتاها للتو.

وبعد فترة قصيرة جلست في مقهى "سالون دوتي"، ووجدت نفسي في الواقع منكمشة عند سماع معلمين (ربما من نفس مدرسة تلك الفتاتين) يتحدثون بالإنجليزية بصوت مرتفع لجعل مساعدة المتجر تفهم. فلا تحتاج في الحقيقة إلى كثير من اللغة لتشير

إلى قطعة من الكيك و لتطلب مشروباً. وكانت هيئة تدريس اللغة من تلك المدرسة تستطيع أن تتدرب عليها مع زملائها، وكان فتح العيون جيداً سيذكّرهم بالمفردات التي يحتاجونها عند مطالعتهم لقائمة الطعام. فلو واصلوا فتح آذانهم، لكانوا سمعوا الكثير من الجمل النموذجية التي تساعدهم عند طلبهم ما يحتاجون إليه. وحتى أنا وفّرت واحدة لنفسي.

الكتابة على الجدار

هل أنت مدمن قراءة؟ هل أنت مثلي – تقرأ ما يكتب على علبة رقائق الحبوب مرة تلو أخرى كل صباح – حتى ولو كنت تعلم ما كتب بالضبط؟ إذا رأيت كلمات، فهل يجب أن تقرأها؟ إذا كان ذلك صحيحاً (وأغلب الكبار يفعلون كذلك) فلا تتوقف لمجرد كونك في بلد أجنبي.

هناك كلمات في كل مكان:

- لافتات الطرق.
- نوافذ المتاجر.
- المطاعم.
- الإعلانات والدعايات.
- إرشادات السلامة في الطائرات والقطارات والقوارب.
- لوحات المعلومات.
- تعليمات الغسيل.
- تعليمات المصنّع.

قد تكون بعض هذه اللوحات معروضة بلغات كثيرة، وكثيراً ما تكون مرئية كذلك؛ وهذا شيء جيد يساعدك على الفهم. فأنت تكتسب معرفة لا واعية بهذه الكلمات والعبارات. وما الطرائق الذكية أن تبذل مجهوداً في استعمال وتعلم القليل. قد ينتهي المطاف ببعض هذه الكلمات في دفترك، وسوف تجد أن من المفيد لك أن تحدد عدداً من المفردات التي تريد أن تتعلمها كل يوم.

بعض هذه المادة اللغوية موجود في بلدك، وقد ترغب في تحديد العدد الذي تريد تعلمه كل أسبوع.

اختبار المفردات

قام أحد الطلاب الذين أخذتهم معي إلى ألمانيا في زيارة تبادلية، بالاستفادة القصوى من ذهابه إلى المدرسة مع شريك التعلم، فكانا يختبران بعضهما البعض في الكلمات التي كانا يشاهدانها من الأشياء التي حولهما. ويمكنك عمل ذلك في البيت أيضاً. فقط، شاهد ما حولك لعشر دقائق كل يوم، وضع قائمة بالإنجليزية بكل الأشياء التي لا تعرف معناها في لغتك المختارة، ثم ابحث عن معناها في معجمك. وتعلّمها.

وهذا يكون مع ذلك أسهل قليلاً عندما تكون في البلد الأجنبي، فكثيراً ما سيتوفر لك وقت أطول. وإذا كنت في عطلة، فلديك وقت أطول للمتعة على كل حال، وهذا نشاط مناسب جداً. وإذا كنت في رحلة عمل، فقد يكون ذلك متعباً، ولكن هناك أجزاءً أساسية من الوقت عندما لا يكون لديك شيء. وحيث إنك محاط باللغة، فيمكنك أن تضع بعض تلك المفردات أمامك بصيغة الكلام أو الكتابة.

استراق السمع

كن محقق لغة. استمع إلى المحادثات التي تدور في الحافلة وفي صفوف الأسواق الكبيرة وفي المقهى . ثم إن هناك محطات القطارات والمطارات، أو الاستماع إلى الإعلانات الداخلية في المتاجر الكبيرة التي تطلب من عمال النظافة أو المديرين أو تعرفك بأحدث عروض المتجر. وبالطبع، كثيراً ما يكون هناك صعوبة في الفهم حتى بلغتك الأم. ولكنها تكون واضحة بما فيه الكفاية، فهي تفهم بسهولة أكبر من المحادثات العادية، وذلك لأنك تقريباً تعرف ما تتوقعه.

إذا كنت مبتدئاً نوعاً ما، فقد تجد صعوبة في فهم أي شيء تسمعه. ولكن، لا تقلق. دع إيقاع ودرجة صوت اللغة تساعدانك؛ وعندما تبدأ الكلام، مستخدماً ما أنت واثق منه، فحاول استعمال نماذج اللغة التي سمعتها.

كان روبرت طالباً مثيراً للاهتمام؛ فقد جاء معنا إلى فرنسا في زيارة تبادلية، وكان دائماً يجد بالحديث بالفرنسية معاناةً. ومع ذلك، تمكن من تقليد ارتفاع وانخفاض أصوات الفرنسية حوله، وتقليد إيقاع الكلام الذي كان يسمعه. تكلم في البداية بكلام غير مفهوم، ولكنه استطاع تدريجياً التمكُّن من البدء بصياغة الكلمات، وكان عند نهاية فترتنا يتحدث بجمل بسيطة وبطريقة نطق ولهجة سليمتين.

يعدُّ مذياع السيارة أحد مصادر مواد الاستماع المجانية، فعند قيادتك السيارة في الطريق الرئيسي، عادة ما تخبرك اللوحات أين تجد قنوات الراديو المحلية. وكثيراً ما تكون هذه مثل قنواتنا المحلية، مثل " راديو٢" و " راديو ٥"، وبعبارة أخرى، فهي مزيج جيد من الموسيقى والكلام. فالكلام سيتضمن أخباراً موجزة وتقارير الطقس والحركة المرورية، كما هو متوقع. وعندما تعود الموسيقى، فلديك الوقت للتفكر فيما كنت قد سمعته.

عشنا في هولندا لعامين، والتحق أولادنا بمدرسة في أمستردام وأقمنا في "هارلم". ففي اليوم الجيد، يتطلب الانتقال أربعين دقيقة، وكان المذياع يعمل كل الوقت. وكان ابني ذو التسع سنوات وابنتي ذات السبع سنوات يقسمان أنهما لا يفهمان اللغة الهولندية. كان هناك تقرير عن ثلاثة من حرائق المنازل، وتم إنقاذ طفلين عمرهما يقارب طفليَّ من أحد المنازل. وقد علّقت ابنتي بقولها أنها تعتقد أن الطفلين كانا خائفين جداً. كما ذكر ابني أنه من الغريب أنه يبدو دائماً أن حرائق المنازل تحدث ثلاثة ثلاثة. تفاجأ عندما أشرت إلى أنهما سمعا ذلك للتو باللغة الهولندية. كانا قد تلقيا قليلاً من الدروس في المدرسة واستمعا إلى المذياع بما لا يقل عن ساعة وعشرين دقيقة كل يوم، كما أنهما استمعا إلى أشرطة قصص باللغة الهولندية.

وكان لديهما أشرطة قصص ديزني المفضلة باللغة الإنجليزية، مثل: "the Lady and Tramp and the Aristocrats". استطعت أن أوفّر لهما نفس الأشرطة باللغة الهولندية. استمعنا إلى الأشرطة وتابعنا القصة في نفس الوقت، وقد فهماها لأنهما كانا يعرفان القصة وتعرَّفا على الصور. فهل بإمكانك الصبر مع استعمال شريط قصص؟

ثم إن هناك التلفزيون والسينما. شاهد شيئاً مدبلجاً ومألوفاً لديك، مثل المسلسلات. قد يكون مضحكاً جداً الاستماع إلى هارولد بيشوب وهو يتحدث الفرنسية بطلاقة، ولكنك ستفهمه. فغالباً ما ستكون حلقة قديمة نوعاً ما. ستفهم أغلب المعاني من الصور ومما تذكره، ولكن اللغة مستمرة في نفس الوقت.

وحتى مشاهدة المسلسلات المنتجة في بلد إقامتك جيدة ويمكن توقع أحداثها وفيها الكثير من الصور.

الملاحظات الإبداعية

عادة ما تخرج أفضل كتابتك الإبداعية عندما تنغمس في المشهد وتصف كل ما تدركه حواسك. فالكتّاب الجيدون يستطيعون الإبداع وتصور المشاهد في أذهانهم، ثم يكتبون عما يرون وما يسمعون وما يشعرون وما يشمون وحتى ما يتذوقون (إن كان ذلك مناسباً).

هل يمكنك الكتابة بإبداع في لغتك المختارة؟ ربما لا يكون هذا سهلاً حتى تتخطى مستوى الكفاءة العملياتية (انظر الملحق ١)، ولكنك غالباً ما تستطيع ذلك بمساعدة التراكيب المستنسخة، ومعجمك، ومعرفتك بقواعد اللغة، وهناك أيضاً كل تلك المحفزات الصوتية المرئية حولك. قف خمس دقائق فقط وشاهد ما تحصل عليه.

إذا أغلقت عينيك، فستبذل حواسك الأربع الأخرى جهداً أكبر. نحن نتعدى اللغويات هنا، فنحن نهتم بالثقافة أيضاً. صحيح أنك سوف ترى لوحات الطرق وما هو مكتوب في نوافذ المتاجر، ولكنك سوف تلاحظ كيف يحيِّي المتحدثون الأصليون بعضهم بعضاً وموضع زوايا الشوكة والسكين على أطباقهم، وكيف أن منازلهم تحوي ممرات أضيق وسقوفاً أعلى. نعم، سوف تسمع كيف يطلبون المساعدة ويعبِّرون عن الفرح والحزن، وكيف وأين يظهرون النميمة، ولكنك أيضاً سوف تسمع الصوت المختلف لسياراتهم بسبب طريقة قيادتهم، وستسمع الطيور تغرِّد بصوت أوضح لأن هناك حركة مرورية أقل، وستسمع رجال الشرطة ينفخون بصفاراتهم بشكل أكثر. قد تلاحظ الهواء الأكثر دفئاً والشارع الأخشن تحت قدميك. وقد تقلّد بقدميك طريقة مشي الآخرين. وقد تشم رائحة أقوى للقهوة وسمكاً وأزهاراً طازجة بشكل أكبر مما لدينا. ويمكنك أيضاً تذوق والتمتع بمشروب لم تجربه من قبل ومثلجات ذات نكهة جديدة، وخضراوات مطبوخة بطريقة مختلفة. قد تكتب عن ذلك إذا رغبت، ولكنك حتى وإن لم ترغب أو تشعر أنك تستطيع ذلك، فسوف تبدأ اكتساب عادات الأمة

ولغتها جنباً إلى جنب؛ وسوف تتكلم بشكل أكثر إقناعاً بسبب ذلك، فأنت تفهم هؤلاء الناس بشكل أفضل وذلك أيضاً يدعم اللاوعي عندك عندما يقوم بتجميع أجزاء لغز الصورة المراد إعادة تركيبها.

عشر فرص لرجل الأعمال المسافر

١- يتم الترحيب بك في رحلتك باللغة الإنجليزية وبلغة البلد الذي تسافر إليه. حاول تعلم إحدى العبارات التي تسمعها.

٢- كما أن إرشادات السلامة ستكون بكلتا اللغتين، وإذا كانت الإنجليزية اللغة الثانية، فحاول التعرف على ما يقولونه باللغة الأجنبية. وإذا سمعت اللغة الإنجليزية أولاً، فاختر عبارة وتعمد الاستماع إليها باللغة الثانية.

٣- تصفح مجلة الرحلة وجرِّب قراءة القسم المكتوب باللغة الأجنبية بحيث لا تستعين بقسم النسخة الإنجليزية إلا إذا تعثرت في الفهم.

٤- شاهد واستمع إلى طاقم الرحلة التي لها طريقة عامة تعمل بها في أي ثقافة وأي لغة، ولكنهم يستعملون بعض اللغة الجسمية الخاصة بهم.

٥- استمع إلى ما يقولونه للركاب وكيف يستجيب الركاب. هل يمكنك استنساخ ذلك؟ افعل ما يلي، حتى إذا كانوا يجيدون الإنجليزية ويتحدثون إليك بها، تستطيع أن تجعل من الواضح تقديم إجابتك باللغة الأجنبية، إذا كنت تشعر بالشجاعة.

٦- عند انتظارك وصول حقائبك، قم ببعض الملاحظات المبدعة. جرِّب تدوين ما لا يقل عن عبارة واحدة في دفترك.

٧- عند انتظارك في طابور الجوازات والجمارك، استمع إلى الحديث المتبادل بين المسافرين والموظفين. هل هناك شيء تستطيع تطبيقه.

٨- جرِّب في سيارة الأجرة المحادثات القصيرة التي تدربت عليها بعناية. استمع إلى المذياع واستمتع بالإيقاع والتنغيم وطريقة النطق واللكنة، حتى وإن كنت لا تفهم كل كلمة.

٩- عند التسجيل في الفندق، استفد من التلميحات التي يقولها الناس قبلك. تعرَّف على ما سيقوله موظف الاستقبال غالباً وعلى ما ينبغي أن تجيب به. اقرأ اللافتات الموجودة على الجدران.

١٠- في غرفتك، قم بالمرور السريع على القنوات التلفزيونية. ربما تجد مباراة كرة قدم، وأنت تعرف ما يحدث بسبب ما تشاهده على الشاشة. وتستطيع تخمين ما يقوله المذيع بسبب طريقة رد فعل الجماهير، وتتعرَّف على المفردات التي تعني "حارس المرمى" و "الهدف" و "ما بين الشوطين" إذا لم تكن تعرفها من قبل، إذ إنها مكتوبة أسفل الشاشة. تعمَّد الاستماع إلى ما لا يقل عن عبارة واحدة تتذكرها لاحقاً، ثم اجعل اللاوعي لديك يكمل المتبقي.

وأنت قد وصلت للتو!

عشر فرص للمسائح

١- تصل إلى محطة الخدمة الأولى في الطريق السريع في البلد الذي يتحدث بلغتك. سوف تملأ سيارتك بالوقود. تدرَّب على الأرقام والعبارات المؤدبة عند دفعك القيمة. خذ تلميحات من الناس الموجودين أمامك عند المحاسبة.

٢- عند تناولك القهوة في المطعم المجاور، استمع إلى المحادثات من حولك. وحتى إذا كنت لا تفهم كل كلمة، استمع إلى الموسيقى بتلك اللغة حاول تثبيت إيقاعها في عقلك لكي تستطيع استعمالها عندما تتكلم. اقرأ ما على الجدران.

٣- قم بمشاهدة أنحاء المتجر. هل فيه دليل مستخدم لسيارتك؟ هل من الجيد شراء واحد؟ أو أن في الدليل الذي يأتي مع سيارتك صفحات بلغتك المختارة. قم بمشاهداتك قبل أن تغادر ثانية.

٤- استمع إلى الإذاعة المحلية في تنقلاتك. هل هناك في السيارة شخص آخر يتعلم نفس اللغة التي تتعلمها؟ ربما يمكنك محاولة التعرف على ما سمعته في تنقلاتك.

٥- إذا لم تكن تقود السيارة بنفسك، فانظر إلى اللوحات والعلامات التي على السيارات الأخرى وعلى جانب الطريق.

٦- تشاهد مكتب معلومات السياحة. تتوقف وتدخل لإلقاء نظرة. التقط الدعايات والأدلة التي تبدو مثيرة للاهتمام. ولاحقاً ، اجتهد في قراءة الجزء المكتوب بلغة دراستك عند وصولك إلى مقر إقامتك. ولا تراجع الجزء الإنجليزي (إذا كان هناك جزء إنجليزي) إلا إذا لم تستطع الفهم. ولاحقاً، لاحظ كيف وماذا تعنيه.

٧- تصل إلى مقر إقامتك. حاول أن تتدرب على العبارة التي ستستعملها عند عملك إجراءات تسجيل الإقامة. وقد تستطيع أخذ بعض التلميحات من الناس الآخرين أمامك في الصف، وإذا وجب عليك الانتظار، اقرأ ما على الجدران.

٨- تقرر أن تقوم ببعض التسوُّق. تدرَّب على عباراتك المؤدبة. استمع إلى إعلانات المتجر الكبير، ولاحظ ما إذا كنت تستطيع شراء العرض الخاص لهذا اليوم. اقرأ كل الكتابات التي تراها.

٩- تجد دعاية موضوعة تحت ماسحة زجاج سيارتك. لا ترمها في سلة المهملات، بل خذها إلى مقر إقامتك واقرأها.

١٠- تلاحظ عائلة من المتحدثين الأصليين مجاورين لك، وتشبه تلك العائلة عائلتك. استرق السمع لمحادثاتهم قليلاً، وأعد قليلاً من العبارات المؤدبة التي تدرَّبت

عليها لتتمكن من بدء علاقة معها. دع أطفالك يلعبون مع أطفال تلك العائلة. وما هذا إلا المساء الأول!

أعد قراءة هذا الفصل في كل مرة تسافر فيها للخارج؛ حتى تقوم بعمل كل هذه الأشياء بطريقة طبيعية.

القصة حتى الآن

- تتقدم بشكل جيد في لغتك المختارة، وتستعمل أنواعاً من العادات الجيدة.
- تقرأ كل شيء يقع في مجال نظرك.
- تستمع بحرص إلى موسيقى اللغة المختارة وتلتقطها إلى جانب التعبيرات الكثيرة التي تسمعها.
- تستعمل حواسك الأخرى لتساعدك على أن تصبح أشبه بالناس الذين تتعلم لغتهم.
- تحصل على الفائدة القصوى من الفرص التي تحصل عليها عندما تكون خارج البلاد.